الفصل الأول

شرح وتفسير سورة التكاثر وما ورد في معناها من الآيات وذكر ما فيها من الفوائد والدروس

أولًا: تفسير سورة التكاثر:

سأجعل المعتمد في تفسير هذه السورة تفسير ابن كثير رحمه الله تعالى لتوسعه في ذكر الروايات التي وردت في تفسير هذه السورة ومعناها، ثم أضيف على ذلك ما ورد في بعض التفاسير الأخرى مما لم يذكره ابن كثير رحمه الله تعالى، ثم أذكر بعد ذلك - إن شاء الله تعالى - الفوائد المستنبطة من هذه السورة، وما ورد في معناها من الآيات.

يقول الله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١ - ٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى «يقول تعالى: شغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر، وصرتم من أهلها؟!

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن يحيى الوقار المصري، حدثني خالد بن عبدالدايم، عن ابن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ عن الطاعة، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: حتى يأتيكم الموت»[1].

وقال الحسن البصري: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ في الأموال والأولاد.

وفي صحيح البخاري، في «الرقاق» منه: وقال لنا أبو الوليد: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، عن أبي بن كعب قال: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ يعني: **«لو كان لابن آدم وادٍ من ذهب»**[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة: سمعت قتادة يحدث عن مطرف - يعني ابن عبدالله بن الشِّخِّير - عن أبيه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، **يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟**».

ورواه مسلم والترمذي والنسائي، من طريق شعبة، به[3].

---

(١) في هذا السند عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف.

(٢) البخاري (٦٤٣٩)، مسلم (١٠٤٨)، ونصه: «**لو أن لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**».

(٣) مسند أحمد ٤/ ٢٤، مسلم (٢٩٥٨)، النسائي ٦/ ٢٣٨.

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا سوَيد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول العبد مالي مالي؟ وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فاقتنى**[1]**، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**» تفرد به مسلم[2].

وقال البخاري: حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عبدالله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**».

وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، به[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «**يهرم ابن آدم، وتبقى منه اثنتان: الحرص والأمل**». أخرجاه في الصحيحين[4].

---

(١) في نسخة (فأبقى).
(٢) مسلم (٢٩٥٩).
(٣) البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
(٤) المسند ٣/ ١١٥، البخاري (٦٤٢١)، ومسلم (١٠٤٧)، واللفظ لمسلم.

وذكر الحافظ ابن عساكر، في ترجمة الأحنف بن قيس - واسمه الضحاك - أنه رأى في يد رجل درهمًا فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي، فقال: إنما هو لك إذا أنفقته في أجر أو ابتغاء شكر. ثم أنشد الأحنف متمثلًا قول الشاعر:

أنتَ للمال إذا أمسكتَه فإذا أنفقتَه فالمالُ لَكْ

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة قال: صالح بن حيان حدثني عن ابن بريدة في قوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار، في بني حارثة وبني الحارث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: فيكم مثلُ فلان ابن فلان، وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك، تفاخروا بالأحياء، ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور. فجعلت إحدى الطائفتين تقول: فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى القبر - ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾، لقد كان لكم فيما رأيتم عبرة وشغل.

وقال قتادة: ﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾: كانوا يقولون: نحن أكثر من بني فلان، ونحن أعدُّ من بني فلان، وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم، والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم.

والصحيح أن المراد بقوله: ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، أي: صرتم إليها ودفنتم فيها، كما جاء في الصحيح: أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده، فقال: «**لا بأس، طهور إن شاء الله**» فقال: قلت: طَهُور؟! بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، تُزيره القبور! قال: «**فَنَعَم إذًا**»[1].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا حكام بن سلم الرازي، عن عمرو بن أبي قيس، عن الحجاج، عن المِنْهال، عن زر بن حُبَيش، عن علي قال: ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

ورواه الترمذي عن أبي كريب، عن حَكَّام بن سلم، به، وقال: غريب[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدثناأبي، حدثنا سلمة بن داود العُرضي، حدثنا أبو المليح الرقي، عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسًا عند عمر بن عبدالعزيز، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فلبث هُنَيهة فقال: يا ميمون، ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله.

---

(١) صحيح البخاري (٥٦٦٢).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي.

قال أبو محمد: يعني أنه يرجع إلى منزله - إلى جنة أو نار. وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلًا يتلو هذه الآية: ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ فقال: بعث القوم ورب الكعبة. أي: إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره.

وقوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: قال الحسن البصري: هذا وعيد بعد وعيد.

وقال الضحاك: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾، يعني: الكفار، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ يعني: أيها المؤمنون.

وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ أي: لو علمتم حق العلم، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة، حتى صرتم إلى المقابر.

ثم قال: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ هذا تفسير الوعيد المتقدم، وهو قوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ توعدهم بهذا الحال، وهي رؤية النار، التي إذا زفرت زفرة خَرَّ كل ملك مقرب، ونبي مرسل على ركبتيه، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال، على ما جاء به الأثر المروي في ذلك.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم، من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك. ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعَة، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز المقري، حدثنا عبدالله بن عيسى أبو خالد الخزاز، حدثنا يوسف ابن عبيد، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد فقال: «**ما أخرجك هذه الساعة؟**» قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله. قال: وجاء عمر بن الخطاب فقال: «**ما أخرجك يا ابن الخطاب؟**» قال: أخرجني الذي أخرجكما. قال: فقعد عمر، وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما، ثم قال: «**هل بكما من قوة، تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعامًا وشرابًا وظلًّا؟**» قلنا: نعم. قال: «**مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبي الهيثم الأنصاري**». قال: فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا، فسلم واستأذن - ثلاث مرات - وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام، تريد أن يزيدها رسول الله ﷺ من السلام، فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم، فقالت: يارسول الله، قد - والله - سمعت تسليمك، ولكن أردت أن تزيدنا من سلامك. فقال: لها رسول الله ﷺ: «خيرًا» ثم قال: «**أين أبو الهيثم؟ لا أراه**». قالت: يا رسول الله، هو قريب ذهب يستعذب الماء، ادخلوا فإنه يأتي الساعة إن شاء الله، فبسطت - بساطًا تحت شجرة، فجاء أبو الهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم، فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**حسبك يا أبا الهيثم**». قال: يا رسول الله، تأكلون

من بسره، ومن رطبه، ومن تذنوبه، ثم أتاهم بماء فشربوا عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا من النعيم الذي تسألون عنه**»[1]. هذا غريب من هذا الوجه.

وقال ابن جرير: حدثني الحسين بن علي الصدائي، حدثنا الوليد ابن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: بينما أبو بكر وعمر جالسان، إذ جاءهما النبي ﷺ فقال: «**ما أجلسكما ها هنا؟**» قالا: والذي بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع. قال: «**والذي بعثني بالحق ما أخرجني غيره**». فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار، فاستقبلتهم المرأة، فقال لها النبي ﷺ: «**أين فلان؟**» فقالت: ذهب يستعذب لنا ماء. فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال: مرحبا، ما زار العباد شيء أفضل من شيء زارني اليوم. فعلق قربته بكرب نخلة، وانطلق فجاءهم بعذق، فقال النبي ﷺ: «**ألا كنت اجتنيت**»؟ فقال: أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم. ثم أخذ الشفرة، فقال النبي ﷺ: «**إياك والحلوب؟**» فذبح لهم يومئذ، فأكلوا. فقال النبي ﷺ: «**لتسئلن عن هذا يوم القيامة. أخرجكم من بيوتكم الجوع، فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا، فهذا من النعيم**»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ١٩/ ٢٥٣ وقال الهيثمي في المجمع، فيه عبدالله بن عيسى، وهو ضعيف ١٠/ ٣١٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٣-٥٨٤.

ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان، به[1]. ورواه أبو يعلى وابن ماجة، من حديث المحاربي، عن يحيى بن عُبيد الله، وعن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق، به. وقد رواه أهل السنن الأربعة، من حديث عبدالملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحو من هذا السياق وهذه القصة[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سُريج، حدثنا حشرج، عن أبي نُصرة، عن أبي عسيب - يعني مولى رسول الله ﷺ قال خرج رسول الله ﷺ ليلًا فمر بي فدعاني فخرجت إليه، ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه، ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه، فانطلق حتى دخل حائطًا لبعض الأنصار، فقال لصاحب الحائط: «**أطعمنا**» فجاء بعذق فوضعه، فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه، ثم دعا بماء بارد فشرب، وقال: «**لتسئلن عن هذا يوم القيامة**». قال: فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض، حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة؟ قال: «**نعم، إلا من ثلاثة: خرقة لف بها الرجل عورته، أو كسرة سد بها جوعته، أو جحر تدخل فيه من الحر والقر**»[3]. تفرد به أحمد.

---

(١) مسلم (٢٠٣٨).

(٢) ابن ماجة (٣١٨١)، ومسند أبي يعلى ١/ ٧٩.

(٣) مسند أحمد ٥/ ٨١.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالصمد، حدثنا حماد، حدثنا عمار، سمعت جابر بن عبدالله يقول: أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبًا، وشربوا ماء، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا من النعيم الذين تسألون عنه**».

ورواه النسائي، من حديث حماد بن سلمة (عن عمار بن أبي عمار عن جابر)، به[1].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا محمد بن عمرو، عن صفوان بن سليم، عن محمود بن الربيع قال: لما نزلت ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾، قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نُسأل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو الحاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «**أما إن ذلك سيكون**»[2].

وقال أحمد: حدثنا أبو عامر، عبدالملك بن عمرو، حدثنا عبدالله ابن سليمان، حدثنا معاذ بن عبدالله بن حبيب، عن أبيه، عن عمه قال: كنا في مجلس فطلع علينا النبي ﷺ وعلى رأسه أثر ماء، فقلنا: يا رسول الله، نراك طيب النفس. قال: «أجل». قال: ثم خاض الناس في ذكر الغنى، فقال رسول الله ﷺ: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى**

---

(١) المسند ٣/ ٣٥١ وسنن النسائي ٦/ ٢٤٦.
(٢) المسند ٥/ ٤٢٩.

الله، والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى، وطيب النفس من النعيم». ورواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، عن عبدالله بن سليمان، به[1].

وقال الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا شبابة، عن عبدالله بن العلاء، عن الضحاك بن عبدالرحمن بن عرزم الأشعري قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «**إن أول ما يسأل عنه** - يعني يوم القيامة - **العبد من النعيم أن يقال له: ألم نصح لك جسمك، ونرويك من الماء البارد؟**». تفرد به الترمذي، ورواه ابن حبان في صحيحه، من طريق الوليد بن مسلم، عن عبدالله بن العلاء بن زَبْر، به[2].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا مسدد، حدثنا سفيان، عن محمد بن عمرو، عن يحيى بن حاطب، عن عبدالله بن الزبير قال: قال الزبير: لما نزلت ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قالوا: يا رسول الله، لأي نعيم نسأل عنه، وإنما هما الأسودان: التمر والماء؟ قال: «**إن ذلك سيكون**». وكذا رواه الترمذي وابن ماجة، من حديث سفيان - هو ابن عيينة - به[3]. ورواه أحمد عنه[4]، وقال الترمذي: حسن.

---

(١) المسند ٥/ ٣٧٢، وابن ماجة (٢١٤١) وقال البوصيري في الزوائد الثمانية: هذا إسناد صحيح، ورجاله ثقات ٢/ ٩٥٨.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٥٨) وصحيح ابن حبان (٧٣٢٠) (الإحسان).

(٣) الترمذي (٣٣٥٦) ابن ماجة (٤١٥٨).

(٤) المسند ١/ ١٧٤.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبدالله الطهراني، حدثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قالت الصحابة: يا رسول الله، وأي نعيم نحن فيه، وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: قل لهم: أليس تحتذون النعال، وتشربون الماء البارد؟ فهذا من النعيم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني، عن ابن أبي ليلى - أظنه عن عامر - عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قال: «**الأمن والصحة**»[1].

وقال زيد بن أسلم، عن رسول الله ﷺ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم، عنه في أول السورة.

وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل، وقال: مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا. وقال الحسن البصري: نعم الغداء والعشاء، وقال أبو قلابة: من النعيم أكل العسل والسمن بالخبز النقي. وقول مجاهد هذا أشمل هذه الأقوال.

---

(١) رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (٨٥٥).

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾، قال: النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وثبت في صحيح البخاري، وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة، من حديث عبدالله بن سعيد بن أبي هند، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»(١).

ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه، فهو مغبون.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا أبو حمزة، عن ليث، عن أبي فزارة، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما فوق الإزار، وظل الحائط، وخبز، يحاسب به العبد يوم القيامة، أو يسأل عنه**»(٢)، ثم قال: لا نعرفه إلا بهذا الإسناد.

---

(١) البخاري (٦٤١٢).

(٢) مسند البزار (٣٦٤٣)، وقال في كشف الأستار: وليث بن سليم: ضعيف.

وقال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان قال: حدثنا حماد - قال عفان في حديثه: قال إسحاق بن عبدالله، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ - قال عفان: يوم القيامة -: يا ابن آدم، حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس، فأين شكر ذلك؟»[1]. تفرد به من هذا الوجه)[2].

وبعد هذا النقل المفصل من تفسير ابن كثير رحمه الله في تفسير سورة التكاثر أنقل فيما يأتي ما ذكره بعض المفسرين حول هذه السورة مما لم يذكره ابن كثير رحمه الله:

ذكر البقاعي في نظم الدرر المناسبة بين سورة التكاثر والسورة التي قبلها وهي سورة القارعة، فقال:

(لما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر، لينزجر السامع عن هذا السبب، ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكًا لأنه ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ أي أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة عن الموت، الذي هو وحده كاف في البعث على الزهد، فكيف بما بعده ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ وهو المباهاة والمفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من متاع الدنيا: المال والجاه والبنين

(١) مسند أحمد ٢/ ٤٩٢.

(٢) تفسير ابن كثير ط دار طيبة تحقيق: سامي السلامة ٨/ ٤٧٢ - ٤٧٨.

ونحوها، مما هو شاغل عن الله، فكان ذلك موجبًا لصرف الهمة كلها إلى الجمع، فصرفكم ذلك إلى اللهو، فأغفلكم عما أمامكم من الآخرة والدين الحق وعن ذكر ربكم وعن كل ما ينجيكم من سخطه، أو عن المنافسة في الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات، وذلك كله لأنكم لا تسلمون بما غلب عليكم من الجهل الذي سببه شهوة النفس وحب الراحة فخفت موازينكم. وحذف هذا الشيء الملهو عنه لتعظيمه والدلالة على أنه ليس غيره مما يؤسف على اللهو عنه.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما تقدم ذكر القارعة وعظيم أهوالها، أعقب بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد لها وألهى عن ذكرها، وهو التكاثر بالعدد والقرابات والأهلين، فقال: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ وهو في معرض التهديد والتقريع، وقد أعقب بما يعضد ذلك، وهو قوله ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، ثم قال: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ وحذف جواب ﴿لَوْ﴾ والتقدير: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ (لما شغلكم) التكاثر، قال ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**[1] الحديث»، وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ جواب لقسم مقدر، أي والله لترون الجحيم، وتأكد بها التهديد، وكذا ما بعد إلى آخر السورة... انتهى[2].

(١) البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩).
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٢٢/ ٢٢٥- ٢٢٦.

وقال أيضًا: (وقال سبحانه معبرًا بأم الروادع، وجامعة الزواجر والصوادع: ﴿ كَلَّا ﴾ أي ارتدعوا أتم ردع، وانزجروا أعظم زجر عن الانشغال بما لا يجدي، فإنه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر في المكاثرة بالأعراض الدنيوية، ولم تخلقوا لذلك، إنما خلقتم لأمر عظيم، فهو الذي يهمكم فاشتغلتم عنه بما لا يهمكم، فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم فاشتغل بتحصيل أكثر، وكذا من ترك المهم من التفسير واشتغل بالأقوال الشاذة، أو ترك المهم من الفقه واشتغل بنوادر الفروع وعلل النحو وغيرها، وترك ما هو أهم منه مما لا عيش له إلا به.

ولما كان الردع لا يكون إلا عن ضار يجر وبالًا وحسرة، دل على ذلك بقوله استئنافًا: ﴿ سَوْفَ ﴾ أي بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ أي يتجدد لكم العلم بوعد لا خلف فيه بما أنتم عليه من الخطأ عن معاينة ما يكشفه الموت ويجر حزنه الفوت من عاقبة ذلك ووباله[1].

وقال أيضًا عند قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾:

قال مفخمًا بأداة التراخي: ﴿ ثُمَّ ﴾ أي بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدًّا ﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾ وعزتنا ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾، أي إذ ترون الجحيم ﴿ عَنِ

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٢/ ٢٢٨- ٢٢٩.

﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ أي الذي أداكم التكاثر إليه حتى عن الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء. هل كان استمتاعكم به على وجه السرف لإرادة الترف، أو كان لإرادة القوة للنشأة إلى الخير فلم يخرج عن السرف. فالمؤمن المطيع يسأل سؤال تشريف، والعاصي يسأل سؤال توبيخ وتأفيف. ولام النعيم قد تكون لمطلق الجنس... وقد التحم آخر السورة بأولها على وجه هو من ألطف الخطاب، وأدق المسالك في النهي عما يجر إلى العذاب، لأن العاقل إذا علم أن بين يديه سؤالًا عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه ذلك في زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال الغوال، فكان خوفه من مطلق السؤال مانعًا له عن التنعم بالمباح، فكيف بالمكروه؟! فكيف ثم كيف بالمحرم؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب لهيبته الجبال؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب؟ فكيف إذا جر إلى العذاب؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته وأجل عباراته في نذاراته وبشاراته، والله أرحم[1].

وذكر الإمام القرطبي رحمه الله تعالى مسائل في تفسير سورة التكاثر منها قوله:

(الثالثة: قوله تعالى: ﴿ٱلْمَقَابِرَ﴾ جمع مَقبَرة ومقبُرة (بفتح الباء وضمها). والقبور جمع القبر، قال:

(١) المصدر نفسه ٢٢/ ٢٣١، ٢٣٢ (باختصار).

أرَى أهْلَ القُصُور إذا أُمِيتُوا بَنَوْا فوق المقابر بالصّخورِ
أبَـوْا إلا مُباهـــاةً وفَخْـــرَا على الفقراءِ حتى في القُبورِ

وقد جاء في الشعر (المَقْبَر)، قال:

لكـل أناس مقـبر بفنائهـــم فهم ينقصون والقبور تزيد

وهو المَقْبُري والمَقْبَريّ: لأبي سـعيد المقبُريّ وكان يسـكن المقابر. وقَـبَرت المَيتَ أقـبرُهُ وأقبرُهُ قـبرًا؛ أي دفنته. وأقبرتـه؛ أي أمرت بأن يقبر. وقد مضى في سورة (عبس) القول فيه. والحمد لله.

الرابعة: لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة. وزيارتها مـن أعظم الدواء للقلب القـاسي؛ لأنها تذكر الموت والآخرة. وذلك يحمـل على قـصر الأمل، والزهـد في الدنيا، وتـرك الرغبـة فيها. قال النبي ﷺ: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور، فإنها تزهد في الدنيـا، وتذكـر الآخـرة**»[1]، رواه ابن مسـعود أخرجـه ابن ماجة. وفي صحيح مسـلم من حديث أبي هريرة: «**فإنها تذكر الموت**»[2]. وفي الترمـذيّ عن بريـدة «**فإنها تذكـر الآخرة**»[3] قال: هذا حديث حسـن صحيح.

(١) ابن ماجه (١٥٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٧٩).
(٢) مسلم (٩٧٦).
(٣) أخرجه الترمذي (١٠٥٤) وهو صحيح.

الخامسة: قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين والبنات، ويواظب على مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين.

فهذه ثلاثة أمور، ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب؛ فإن مشاهدة المحتضرين، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير. وفي مشاهدة من احتُضِر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة فلذلك كان أبلغ من الأول، فقال ﷺ: «**ليس الخبر كالمعاينة**»[1]. رواه ابن عباس.

فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات.

وأما زيارة القبور فوجدوها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر. فينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب،

(١) مسند أحمد ١/ ٢١٥، وابن حبان (٦٢١٣).

بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه، الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال؛ كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وترمل من بعدهم نساؤهم، وشمل ذل اليتم أولادهم، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم.

وليتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على نيل المطالب، وانخداعهم لمواتاة الأسباب، وركونهم إلى الصحة والشباب، وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليُحضر بقلبه ذكر من كان متردداً في أغراضه، وكيف تهدمت رجلاه، وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله وقد سالت عيناه، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه، وليتحقق أن حاله كحاله، ومآله كمآله.

وعند هذا التذكر والاعتبار تزول عنه الأغيار الدنيوية، ويقبل على الأعمال الأخروية، فيزهد في دنياه، ويقبل على طاعة مولاه، ويلين قلبه، وتخشع جوارحه)[1].

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٨- ١٣٠ (باختصار).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عن هذه السورة.

(ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها وما تضمنته من تحذير الملهي وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار، ولا يليق ذلك بها، ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها، والله أعلم.

تأمل ما في هذ العتاب الموجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها إلى أن زار القبور ولم يستيقظ من نوم الإلهاء، بل أرقد التكاثر قلبه، فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات، وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتبين لك أن العموم مقصود، وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا على اختلاف أجناسها وأنواعها، وأيضًا فإن التكاثر تفاعل؛ وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكثر صاحبه فيكون أكثر منه فيما يكاثره به، والحامل له على ذلك توهمه أن العزة للتكاثر، كما قيل.

ولست بالأكثر منهم حصى... وإنما العزة للكاثر[1].

(١) هذا البيت ينسب لأعشى قيس. والتكاثر لغة مصدر قولهم تكاثر فلان وفلان، أي قال كل منهما: أنا أكثر منك في كذا. أو طلب أن يكون كذلك، وهو مأخوذ من مادة (ك ث ر) التي تدل على خلاف القلة.

فلـو حصلت له الكثرة من غير تكاثـر لم تضره، كما كانت الكثرة حاصلـة لجماعة من الصحابة ولم تضرهم، إذ لم يتكاثروا بها. وكل من كاثر انسـانًا في دنياه أو جاهه أو غير ذلك شـغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة.

فالنفـوس العلويـة ذات الهمـم العالية إنـما تكاثر بما يـدوم عليه نفعـه وتكمل بـه وتزكو وتصير مفلحـة، فلا تحـب أن يكثرها غيرها في ذلك، وينافسـها في هذه المكاثرة ويسـابقها إليها، فهذا هو التكاثر، الذي هو غاية سعادة العبد، وضده تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم، فهذا تكاثر مله عن الله والدار الآخرة هو صائر إلى غاية القلة؛ فعاقبة هذا التكاثر قل وفقر وحرمان، والتكاثر بأسـباب السعادة الأخروية تكاثـر لا يزال يذكر بالله ولقائه وعاقبته الكثرة الدائمة، التي لا تزول ولا تفنـى، وصاحب هـذا التكاثر لا يهون عليـه أن يرى غيره أفضل منه قولًا، وأحسـن منه عملًا وأغـزر علمًا، وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلـة من خصال الخير، يعجز عن لحاقـه فيها كاثره بخصلة أخرى هـو قادر عـلى المكاثرة بها، وليس هـذا التكاثر مذمومًـا ولا قادحًا في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسـة واستباق الخيرات، وقد كانت هـذه حال الأوس مع الخـزرج ﷺ في تصاولهم بين يدي رسـول الله، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره.

وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر ﷺ، فلما تبين له مدى سبقه له قال: والله لا أسابقك إلى شيء أبدًا.

ومن تأمل حسن موقع ﴿ كَلَّا ﴾ في هذا الموضع، فإنها تضمنت ردعًا لهم، وزجرًا عن التكاثر ونفيًا وإبطالًا لما يؤملونه من نفع التكاثر لهم وعزتهم وكمالهم به.

فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا، وأخبرهم سبحانه أنهم لا بد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علمًا بعد علم، وأنهم لا بد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا، التي ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية، وأنه سبحانه لا بد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم: من أين استخرجوها وفيما صرفوها؟

فلله ما أعظمها من سورة وأجلها وأعظمها فائدة، وأبلغها موعظة وتحذيرًا، وأشدها ترغيبًا في الآخرة وتزهيدًا في الدنيا على غاية اختصارها، وجزالة ألفاظها، وحسن نظامها، فتبارك من تكلم بها حقًّا، وبلغها رسوله عنه وحيًا.

وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين، بل هم مستودعون في المقابر مدة، وبين أيديهم دار القرار، فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين؛ فكيف بهم وهم في الطريق

في هذه الدار، فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة، ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر، فهنا ثلاثة أمور، عبر السبيل في هذه الدنيا، وغايته زيارة القبور، وبعدها النقلة إلى دار القرار)[1].

ويذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الفرق بين ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾، و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ الواردين في السورة.

فيقول: (الفرق بين (علم اليقين) و(عين اليقين): كالفرق بين الخبر الصادق والعيان. وحق اليقين: فوق هذا.

وقد مثلت المراتب الثلاثة بمن أخبرك: أن عنده عسلًا وأنت لا تشك في صدقه، ثم أراك إياه فازددت يقينًا، ثم ذقت منه: فالأول: علم اليقين، والثاني: عين اليقين، والثالث: حق اليقين.

فعلمنا الآن بالجنة: علم يقين، فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق، وبرزت الحجيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: فذلك حينئذ حق اليقين)[2].

ويقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى:

---

(١) التفسير القيم ص ٢٣٢- ٢٣٤.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٢٩ ط دار طيبة.

(هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنما هي صوت نذير، قائم على شرف عال، يمد بصوته ويدوي بنبرته. يصيح بنوَّم غافلين مخمورين سادرين، أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور. فهو يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

أيها السادرون المخمورون، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد، وأعراض الحياة وأنتم مفارقون، أيها المخدوعون بما أنتم فيه عما يليه، أيها التاركون ما تتكاثرون فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها، ولا تفاخر.. استيقظوا وانظروا.. فقد ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.

ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر في إيقاع رزين: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ويكرر هذا الإيقاع بألفاظه وجرسه الرهيب الرصين: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

ثم يزيد التوكيد عمقًا ورهبة. وتلويحًا بما وراءه من أمر ثقيل. لا يتبينون حقيقته الهائلة في غمرة الخمار والاستكثار: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾.

ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطوية الرهيبة: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴾.

ثم يؤكد هذه الحقيقة، ويعمق وقعها الرهيب في القلوب: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾.

ثم يلقي بالإيقاع الأخير، الذي يدع المخمور يفيق، والغافل يتنبه، والسادر يتلفت، والناعم يرتعش ويرتجف مما في يديه من نعيم: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾!

لتسألن عنه من أين نلتموه؟ وفيم أنفقتموه؟ أمن طاعة وفي طاعة؟ أم من معصية وفي معصية؟ أمن حلال وفي حلال؟ أم من حرام وفي حرام؟. هل شكرتم؟ هل أديتم؟ هل شاركتم؟ هل استأثرتم.

﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ عما تتكاثرون به وتتفاخرون.. فهو عبء تستخفونه في غمرتكم ولهوكم، ولكن وراءه ما وراءه من هم ثقيل!

إنها سورة تعبر بذاتها عن ذاتها. وتلقي في الحس ما تلقي بمعناها وإيقاعها، وتدع القلب مثقلًا مشغولًا بهم الآخرة عن سفساف الحياة الدنيا وصغائر اهتماماتها، التي يهش لها الفارغون!

إنها تصور الحياة الدنيا كالومضة الخاطفة في الشريط الطويل.. ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾.. وتنتهي ومضة الحياة وتنطوي صفحاتها الصغيرة.. ثم يمتد الزمن بعد ذلك وتمتد الأثقال؛ ويقوم الأداء التعبيري ذاته بهذا الإيحاء. فتتسق الحقيقة مع النسق التعبيري الفريد..

وما يقرأ الإنسان هذه السورة الجليلة الرهيبة العميقة، بإيقاعاتها الصاعدة الذاهبة في الفضاء إلى بعيد في مطلعها، الرصينة الذاهبة إلى القرار العميق في نهايتها.. حتى يشعر بثقل ما على عاتقه من أعقاب هذه الحياة الوامضة التي يحياها على الأرض، ثم يحمل ما يحمل منها ويمضي به مثقلًا في الطريق! ثم ينشئ يحاسب نفسه على الصغير والزهيد!!![1].

ثانيًا: ذكر بعض الآيات من كتاب الله ﷻ مما لها صلة بسورة التكاثر

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب (تفسير سورة التكاثر)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (أخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهد لأولي الأبصار، إنها لعب ولهو تلهو بها النفوس وتلعب بها الأبدان واللعب واللهو لا حقيقة لها، وأنها مشغلة للنفس مضيعة للوقت، يقطع بها الجاهلون فيذهب ضائعًا في غير شيء.

ثم أخبر أنها زينة للعيون وللنفوس، فأخذت بالعيون والنفوس استحبابًا ومحبة، ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لأبغضتها ولآثرت عليها الآخرة. ولما آثرتها على الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أنها يُفاخر بعضنا بعضًا بها، فيطلبها، ليفخر بها على صاحبه، وهذا حال كل من طلب شيئًا للمفاخرة من مالٍ أو جاه أو قوة أو علم أو زهد.

والمفاخرة نوعان: مذمومة ومحمودة.

فالمذمومة: مفاخرة أهل الدنيا بها.

والمحمودة: أن يطلب المفاخرة في الآخرة، فهذه من جنس المنافسة المأمور بها، وهي أن الرجل ينفس على غيره بالشيء، ويغار أن يناله دونه، ويأنف من ذلك ويحمي أنفه له.

يقال: نفست عليه الشيء، أنفسه نفاسة إذا ضننت به، ولم تحب أن يصير إليه دونك، والتنافس تفاعل من ذلك، كأن كل واحد من المتنافسين يريد أن يسبق صاحبه إليه، وحقيقة المنافسة الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة إلى الشيء النفيس.

ثم أخبر تعالى عنها أنها تكاثر في الأموال والأولاد، فيجب على كل واحد أن يكثر بني جنسه في ذلك، ويفرح بأن يرى نفسه أكثر من غيره مالًا وولدًا، وأن يقال فيه ذلك، وهذا من أعظم ما يلهي النفوس عن الله والدار الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، والتكاثر في كل شيء؛ فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة، فهو داخل في حكم هذه الآية، فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال، ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو العلم، فيجمعه تكاثرًا وتفاخرًا، وهذا أسوأ حالًا عند الله ممن يكثر بالمال والجاه فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه، استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن مصير الدنيا وحقيقتها، وأنها بمنزلة غيث أعجب الكفار نباته.

والصحيح - إن شاء الله - أن الكفار هم الكفار بالله، وذلك عرف القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزراع، لذكرهم باسمهم الذي يعرفون به كما ذكرهم به في قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩]، وإنما خص الكفار به لأنهم أشد إعجابًا بالدنيا، فإنهم دارهم التي لها يعملون ويكدحون؛ فهم أشد إعجابًا بزينتها وما فيها من المؤمنين.

ثم ذكر سبحانه عاقبة هذا النبات وهو اصفراره ويبسه، وهذا آخر الدنيا ومصيرها، ولو ملكها العبد من أولها إلى آخرها فنهايتها ذلك، فإذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا واستحالت إلى عذاب شديد، أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه)[1].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله عن هذه الآيات:

(يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبًا ولهوًا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته

(١) عدة الصابرين ص٢٨٠، ٢٨١ تحقيق سليم الهلالي دار ابن الجوزي.

ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي.

وقوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: تزين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب والدور والقصور والجاه. وغير ذلك. ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة في أحوالها، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره من المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرًا ولم يجعلها مستقرًّا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله، وإذا رأى من يكاثره وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة.

ثم ضرب للدنيا مثلًا بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا فجاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، إذا أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال

تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبًّا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه.

وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠] أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا هي غايته ومنتهى مطلبه، فتجرأ على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله.

وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها.

فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه، إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور)[1].

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦].

(١) تفسير السعدي ص٨٤١.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عن هذه الآية:

(هذا تزهيد منه لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان، ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيًا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبًا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسرانه وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل الزهد فيها وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ [محمد: ٣٦]، بأن تؤمنوا بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفًا، ليثيبهم الثواب الجزيل)[1].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]:

(١) تفسير السعدي ص ٧٩٠.

يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: (يقول تعالى مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها، وأنها لا دوام لها، غاية ما فيها لهو ولعب ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، أي: الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هي مستمرة أبد الآباد، وقوله ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾، أي: لآثاروا ما يبقى على ما يفنى)[1].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند هذه الآية:

(يخبر تعالى عن حالة الدنيا والآخرة، وفي ضمن ذلك، التزهيد في الدنيا والتشويق للأخرى، فقال: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ في الحقيقة ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ تلهو بها القلوب، وتلعب بها الأبدان، بسبب ما جعل الله فيها من الزينة واللذات، والشهوات الخالبة للقلوب المعرضة، الباهجة للعيون الغافلة، المفرحة للنفوس المبطلة الباطلة، ثم تزول سريعًا، وتنقضي جميعًا، ولم يحصل منها محبها إلا الندم والحسرة والخسران.

وأما الدار الآخرة، فإنها دار ﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾ أي: الحياة الكاملة، التي من لوازمها، أن تكون أبدان أهلها في غاية القوة، وقواهم في غاية الشدة، لأنها أبدان وقوى خلقت للحياة، وأن يكون موجودًا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم بها اللذات، من مفرحات القلوب،

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٩٤ ط دار طيبة.

وشهوات الأبدان، من المآكل والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون، لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين)[1].

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

يقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية:

وقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) تفسير السعدي ١/ ١٣٥.

يقول تعالى: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم؛ لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق؛ ولهذا قال: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] أي: يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم)[1].

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١ - ٣].

قال صاحب الظلال رحمه الله تعالى عن هذه الآية:

(مطلع قوي يهز الغافلين هزًّا، والحساب يقترب وهم في غفلة، والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى، والموقف جد وهم لا يشعرون بالموقف وخطورته، وكلما جاءهم من القرآن جديد قابلوه باللهو والاستهتار، واستمعوه وهم هازلون يلعبون.. ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾.. والقلوب هي موضع التأمل والتدبر والتفكير.

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٦٨ ط دار طيبة.

إنها صورة للنفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد؛ وتستهتر في مواقف القداسة، فالذكر الذي يأتيهم، يأتيهم ﴿مِّن رَّبِّهِم﴾ فيستقبلونه لاعبين، بلا وقار ولا تقديس، والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال والقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال؛ فلا تصلح للنهوض بعبء، ولا الاضطلاع بواجب، والقيام بتكليف، وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة!

إن روح الاستهتار التي تلهو بالمقدسات روح مريضة، والاستهتار غير الاحتمال، فالاحتمال قوة جادة شاعرة، والاستهتار فقدان للشعور واسترخاء.

وهؤلاء الذين يصفهم القرآن الكريم يواجهون ما ينزل من القرآن ليكون دستورًا للحياة، ومنهاجًا للعمل، وقانونًا للتعامل.. باللعب.

ويواجهون اقتراب الحساب بالغفلة، وأمثال هؤلاء موجودون في كل زمان، فحيثما خلت الروح من الجد والاحتفال والقداسة صارت إلى هذه الصورة المريضة الشائهة التي يرسمها القرآن، والتي تحيل الحياة كلها إلى هزل فارغ، لا هدف له ولا قوام!

ذلك بينما كان المؤمنون يتلقون هذه السورة بالاهتمام الذي يذهل القلوب عن الدنيا وما فيها:

جاء في ترجمة الآمدي لعامر بن ربيعة أنه كان قد نزل به رجل من العرب فأكرم مثواه.

ثم جاءه هذا الرجل وقد أصاب أرضًا فقال له: إني استقطعت من رسول الله ﷺ واديًا في العرب. وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك. فقال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]. وهذا هو فرق ما بين القلوب الحية المتلقية المتأثرة، والقلوب الميتة المغلقة الخامدة، التي تكفن ميتتها باللهو؛ وتواري خمودها بالاستهتار؛ ولا تتأثر بالذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة)[1].

الآية السادسة:

قوله تعالى عن المكاثرين بالأموال والأولاد: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥].

ومثل هذه الآية قوله تعالى عن صاحب الجنتين في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ

(١) في ظلال القرآن: الآيات (١، ٢، ٣) من سورة الأنبياء.

جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ [الكهف: ٣٤ - ٣٦].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عن آية الكهف: (فقال: أي: صاحب الجنتين ﴿لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٤] أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [الكهف: ٣٤] أي: أكثر خدمًا وحشمًا وولدًا.

قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر)[1].

ويقدم سيد قطب رحمه الله تعالى لقصة صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن بقوله: (ثم تجيء قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلًا للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المغترة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين، نموذج الرجل الثري تذهله الثروة، وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى.

فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه الذاكر لربه، يرى النعمة دليلًا على المنعم، موجبة لحمده وذكره)[2].

---

(١) عمدة التفسير ٢/ ٤٧٥

(٢) في ظلال القرآن الآيات ٢٢- ٢٦من سورة الكهف.

الآية السابعة:

قولـه تعالى عن قيام السـاعة وحقيقة اللبـث في الدنيا: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى عن هذه الآية:

(فهي مـن ضخامة الوقع في النفس بحيـث تتضاءل إلى جوارها الحيـاة الدنيا، وأعمارهـا، وأحداثهـا، ومتاعها، وأشـياؤها، فتبدو في حس أصحابها كأنها بعض يوم.. عشية أو ضحاها!

وتنطوي هـذه الحياة الدنيا التي يتقاتل عليها أهلها ويتطاحنون، والتي يؤثرونها ويدعون في سبيلها نصيبهم في الآخرة، والتي يرتكبون من أجلها ما يرتكبون من الجريمة والمعصية والطغيان، والتي يجرفهم الهـوى فيعيشـون لـه فيها.. تنطـوي هذه الحيـاة في نفـوس أصحابها أنفسهم، فإذا هي عندهم عشية أو ضحاها.

هذه هي: قصيرة عاجلة، هزيلة ذاهبة، زهيدة تافهة.. أفمن أجل عشـية أو ضحاها يضحون بالآخرة؟ ومن أجل شـهوة زائلة يدعون الجنة مثابة ومأوى!

ألا إنهـا الحماقـة الكبرى، الحماقة التي لا يرتكبها إنسـان، يسـمع ويرى!)[1].

(١) في ظلال القرآن الآية (٤٦) من سورة النازعات.

الآية الثامنة:

قولـه تعـالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ [الطور: ١١ - ١٢].

يعلق سيد قطب رحمه الله تعالى على هذه الآية فيقول:

(كذلـك يبدو أن الناس في خوض يلعبون مـن ناحية اهتماماتهم في الحيـاة، حـين تقاس بالاهتمامـات التي يثيرها الإسـلام في النفس، ويعلـق بها القلـب، ويشـغله بتدبيرهـا وتحقيقها، وتبـدو تفاهة تلك الاهتمامات وضآلتها، والمسلم ينظر إلى اشتغال أهلها بها، وانغماسهم فيها، وتعظيمهم لها،وحديثهم عنها، وكأنها أمور كونية عظمى! وهو ينظر إليهم كما ينظر إلى الأطفال المشغولين بعرائس الحلوى وبالدمى الميتة، يحسبونها شخوصًا؛ ويقضون أوقاتهم في مناغاتها واللعب معها وبها!!!)[1].

ذكر بعض الفوائد والدروس المستنبطة من سورة التكاثر، وما ورد في معناها

• **أولًا**: المعنى المستفاد من قوله تعالى ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾

الإلهـاء: هـو الـصرف إلى اللهو من (لهـا) إذا غفـل، وكل شيء شـغلك عـن شيء فقـد ألهـاك، وهـو صرف الهـم بما لا يحسـن أن

(١) المصدر نفسه عند الآيتين (١١، ١٢) من سورة الطور.

يصرف به من الإعراض عن الحق والانشغال بالمتع العاجلة عن الدار الباقية، والميل عن الجد إلى الهزل، وبالجملة: فكل باطل شغل عن الخير وعما يعني فهو (لهو)[1].

وقوله ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾ أبلغ في الذم مما لو قال: (شغلكم) لعدم التلازم بين اللهو والاشتغال؛ ذلك أن الإنسان قد يشتغل بالشيء بجوارحه وقلبه غير لاه به؛ بينما اللهو: ذهول وإعراض[2].

• **ثانيًا:** قرن الله ﷻ في كتابه الكريم بين (اللهو واللعب)، وقد مر بنا بعضها، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: ٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١].

---

(١) انظر المفردات للراغب (مادة لهو) ص٧٤٨.

(٢) تفسير القرطبي ٦/ ٤١٤، الفوائد لابن القيم ص٣٢.

والعطف يقتضي المغايرة فما هو الفرق بين اللعب واللهو؟

ذكر أهل العلم فروقًا في ذلك: فقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (اللهو للقلب واللعب للجوارح)[1].

وقال بعضهم: اللهو: صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به، واللعب: طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به.

وقيل: اللهو: الإعراض عن الحق، واللعب: الإقبال على الباطل.

وقال العسكري: (الفرق بين اللهو واللعب: أنه لا لهو إلا لعب، وقد يكون لعب ليس بلهو؛ لأن اللعب يكون للتأديب... ولا يقال لذلك لهو، وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعًا، وسمي لهوًا؛ لأنه يشغل عما يعني، من قولهم: ألهاني الشيء، أي: شغلني، ومنه قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ا. هـ[2].

ومن تأمل هذه الأقوال تبين له مدى التقارب بين معنى اللهو واللعب، ولعل من أحسن الفروقات بينهما ما ذكره الحافظ شمس الدين ابن القيم رحمه الله من أن اللهو للقلب، واللعب للجوارح، قال: (ولهذا يجمع بينهما) ا. هـ[3].

---

(١) الفوائد ص٣٢.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص٢١٠ .

(٣) الفوائد ص٣٢.

• **ثالثًا**: التكاثر: التباهي بالكثرة من المال والجاه والولد وغير ذلك مما سيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى، فهو تفاعل من الكثرة، وهو مأخوذ من مادة (ك ث ر) التي تدل على خلاف القلة، والتكاثر يقع على أحد وجهين: فيحتمل أن يكون التكاثر بمعنى المفاعلة لأنه يتم بين اثنين، يقول كل واحد منهما لصاحبه ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٤]، ويحتمل تكلف الكثرة وتطلبها، فإن الحريص مثلًا يتكلف جميع عمره تكثير ماله[1].

• **رابعًا**: لم يعين - سبحانه وتعالى - المكاثر به، بل ترك ذكره لإرادة العموم في كل ما يكاثر العبد به غيره سوى طاعة الله ﷻ، وترك الأمر على العموم والإطلاق أبلغ في الذم من تخصيصه، لأنه تذهب فيه الفكر كل مذهب، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام، مما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (التكاثر في كل شيء: فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة فهو داخل في حكم هذه الآية؛ فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال أو بالجاه، ومنهم من يلهيه التكاثر بالعلم، فيجمع العلم تكاثرًا أو تفاخرًا، وهذا أسوأ حالًا عند الله ممن يكاثر بالمال أو الجاه؛ فإنه جعل

(١) انظر التفسير الكبير ٣٢/ ٧٥ والفوائد ص٣٢.

أسباب الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها)[1].

وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانٌ لأنواع كثيرة من التكاثر التي ظهرت في واقعنا المعاصر.

• **خامسًا:** بما مضى يتبين أن الذم في الآية واقع على التكاثر في متاع الدنيا الزائل ولذاتها الفانية.

أما التكاثر بأسباب السعادة الأخروية فهو مطلوب شرعًا قال الله ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، وعليه فالتكاثر من حيث تعلق الذم والحمد قسمان (محمود ومذموم)، فما كان في الآخرة فهو ممدوح إذا ابتغى به وجه الله تعالى، وما كان في الدنيا فهو مذموم ونهايته إلى الخسران.

• **سادسًا:** في سورة التكاثر دليل على البعث بعد الموت، وذلك من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ لأن الزائر لا يقيم وإنما يرجع إلى موطنه الأصلي النهائي، وذلك في اليوم الآخر: إما إلى الجنة وإما إلى النار. نسأل الله ﷻ أن يجعل قرارنا في جنات النعيم.

(١) عدة الصابرين ص١٧٢.

- **سابعًا**: في هذه السورة فضيلة لزيارة القبور وتذكر الموت والدار الآخرة والاستعداد له ما دام الإنسان حيًّا قبل أن يزورها ميتًا، وأن هذا من الأسباب التي تتقى بها الدنيا والتكاثر فيها.

- **ثامنًا**: تضمنت السورة بيان خطورة التكاثر في الدنيا وما يورث فيها من الشقاء والهم والغم، وفي الآخرة من الحسرة والندامة ورؤية النار، وذلك بالانشغال في الدنيا عن العمل الصالح بالمكاثرة ولو بالمعاصي والحرام.

- **تاسعًا**: بينت السورة أن التكاثر والمنافسة في الدنيا هي من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان لا يبالى من أين يكسب المال وفيما ينفقه، فحسبه أن يتمتع بهذا المال حلالًا كان أو حرامًا، وينسى أن الله ﷻ سيسأله عن كل نعيم تنعم به في هذه الدنيا، لما قال سبحانه وتعالى ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وقوله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه. وعن جسمه فيما أبلاه**»[1] فالمال والتكاثر به: إما حساب إن كان حلالاً، وإما عذاب إذا كان حرامًا.

(١) الترمذي (٢٤١٧) وقال حسن صحيح.